كلمة د/ محمد محمود الإمام*

تعلمون حضراتكم أن الدكتور **محمد محمود الإمام** هو وزير التخطيط الأسبق ومدير معهد التخطيط الأسبق بالقاهرة وكان زميل الراحل الدكتور **إبراهيم سعد الدين** ورفيقهما الدكتور **إسماعيل صبري عبد الله**، شاءت الظروف أن لا يتمكن من الحضور اليوم وسوف أقرأ كلمته التي تحمل نموذجاً لجيل قلّ أن يجود به الزمان.

كلمة الدكتور محمد محمود الإمام:

ذهب إبراهيم سعد الدين وترك لنا ذكراه العطرة .. ترك للوطن ذخيرة من عصارة فكره وجهده، وترك للفكر الاشتراكي نضالا طويلا وفكرا مستنيرا يضيء له طريق المستقبل، وترك لأصدقائه ذكريات لا تمحى، ومشاعر لا تخبو جذوتها -وكان لي حظ أن أشارك في ثلاثتها- وأن أعتز بذكرى صداقة قل أن يجود الزمان بمثلها؛ فقد بدأت صداقتنا في مدرجات كلية التجارة عام ١٩٤١، فشهدت سنوات الجامعة الأربع نمو صداقة عززها تنافس شريف لمجموعة طيبة ضمت **إبراهيم صقر وفتحي المتبولي**، على المراكز الأولى إلى أن انفرد كل منا بصدارة شعبته: **سعد الدين** لإدارة الأعمال **وصقر** للعلوم السياسية، **والمتبولي** للمحاسبة، تاركين لي شعبة الاقتصاد ثم تزاملنا كمعيدين إلى أن نما إلى علمي أن الكلية فضلت عليه في بعثة علمية من كان من بين تلاميذه، وعندما أخبرته بالأمر الذي كان أول سلسلة من الاستبعادات عاشها طيلة سني كفاحه، تلقى الأمر بهدوء وقال: **"لئن ضنوا عليّ بحقي فسوف أسافر على نفقتي الخاصّة"** وتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، معقل إدارة الأعمال في ذلك الوقت، وبعد قليل اتصل بي مبديا دهشته من مدى سطحية الشعب الأمريكي، وعجزه عن إدراك واقع الأمور، وعزوفه عن إعمال الفكر في شؤون البشر، ولا أعتقد أن تغيرا حدث على مدى الستين عاما التي مضت على حديثه هذا، وعندما أتم دراسته أوصى أساتذته الأمريكيون بأن يستفاد منه في البحث العلمي لأنه يتمتع بعقلية تحليلية رفيعة ... غير أن القدر كان يخبئ له شيئا آخر.

عاد **إبراهيم** إلى صفوف مدرسي كليته في السنوات الأولى للثورة، فإذا بمراكز الضعف التي حاربته قبل الثورة تواصل اضطهاده بعد قيامها، فصدر قرار بفصله من هيئة التدريس بدعوى **"أن له شخصية قوية تؤثر على الطلبة"** .. فضحكت يومها قائلا بمرارة **إن هذه شهادة علينا بضعف الشخصية**، ومع ذلك ظل متمسكا بمبادئه معتزا بكرامته، إلى أن قيض الله له **إبراهيم حلمي عبد الرحمن**، فاختاره سكرتيرا عاما لمعهد التخطيط القومي، وعندها أعرب عن امتنانه له بأن قال: **"لو طلب مني أحد أبنائي لقدمته له عن طيب خاطر"**، وبفضله أمكن إقامة جهاز للمعهد يتصف بالكفاءة، وكانت فترة اقتربنا فيها كثيرا من بعضنا في التفكير للنهوض بهذا البلد. وعندما أنشئ معهد الإدارة العامة اختاره فؤاد شريف أمينا عاما له، فانتقل إليه، ومرة أخرى ساهم في البناء وفي

(*) كلمة الدكتور/ محمد محمود الإمام في حفل تكريم اسم المـــــرحوم الدكتور إبراهيم سعد الدين عبد الله وألقاها بالنيابة عنه الدكتور محمد سمير مصطفى.

إقامة صرح آخر كان له شأنه في تنمية القدرات البشرية لتتحمل أعباء التنمية التي كانت حقلا جديدا وضعت الثورة أول سطوره، وكان المعهد تحت إشراف **زكريا محيي الدين**، الذي ترأس في ١٩٦٤ الجهاز المركزي للمحاسبات بعد أن استحدثت فيه إدارة مركزية لمتابعة تنفيذ الخطة وتقييم الأداء، وأخرى للبحوث والعمليات، فاختار **إبراهيم** رئيسا للأولى، وكانت الثانية من نصيبي، فالتقينا مرة أخرى للعمل من أجل الوطن واتفقنا على تغيير مفهوم الرقابة، ليتحول من اصطياد الأخطاء وإنزال العقاب، إلى تحسين الأداء وبناء القدرات، وأنجز الكثير بالعدد المحدود من العاملين الذي تم تعيينه في ست إدارات عامة كانت تحت إشرافه، ومرة أخرى انتقل إبراهيم ليشارك في بناء صرح جديد - هذه المرة كمدير للمعهد الاشتراكي - فكان خير مكان تظهر فيه مواهبه الفذة في التحليل وإسهاماته العميقة في الفكر الاشتراكي فقد ترك بصمات عميقة في عقول وقلوب أفواج توالت على ذلك المعهد، ومع ذلك عندما نشر رأيا انتقد فيه بعض أخطاء التخطيط - دعي إلى زيارة قصيرة للسجن - خرج منها ليلتقي **بعبد الناصر**، الذي أكد له أنه يرحب بالانتقاد إذا كان في محله شريطة أن يعرض عليه مباشرة، وجعل منه ومن صديقنا إسماعيل صبري مستشارين له، سعيا منه للنهوض بعملية التحول الاشتراكي في ذلك الوقت.

وفي السبعينيات لحق بأولاده الاضطهاد الذي عانى منه؛ فهاجر ابنه إلى العراق ليتم دراسته للطب، ومع ذلك لم يسلم من الاعتقال، أما ابنته التي تخرجت بامتياز من شعبتها في كلية الاقتصاد، فقد حرمت من وظيفة معيد كانت تستحقها بجدارة، وعندما خلت رئاسة مشروع الأمم المتحدة للمساعدة في بناء المعهد العربي للتخطيط بالكويت التي كان يشغلها صديق آخر هو **محمود شافعي**، انتقل إليها **إبراهيم** فقاد السفينة بحنكته المعهودة، وما زال المعهد يحمل الكثير من بصماته التي جعلته أحد أعمدة التكامل والتنمية العربيين، وانتقل بعد ذلك إلى العمل على صعيد العالم الثالث؛ فأدار الفرع الخاص بالشرق الأوسط لمنتدى العالم الثالث، وساهم في بناء المنتدى مع **إسماعيل صبري وسمير أمين**، وفي إدارة دراسة المستقبليات العربية بالمنتدى، والتنمية العربية في مشروع استشراف المستقبل العربي لدى مركز دراسات الوحدة العربية. وعاد ليكون أحد أعمدة مشروع **"مصر ٢٠٢٠"** بجانب **إسماعيل صبري وإبراهيم العيسوي**؛ وطوال الوقت لم يتوقف عن الإسهام بدراسات متعمقة في شؤون التنمية، وعن فتح باب تجديد الفكر الاشتراكي على مصراعيه.

ما زلت أتخيله في مكتبه المتواضع، أدخل عليه فأجده إما يقرأ كتابا جديدا، أو يكتب شيئا مفيدا، ونتناقش فيما قرأه أو كتبه، وظل دائما عازفا عن الشكوى مما عاناه، مبتعدا عن الإساءة حتى لمن عاداه.. **حقاً كان نموذجاً ما أحوج شبابنا اليوم لأن يستخلص من تاريخه العبر الحسنة.**